عرض لكتاب

مذكرات ضابط من جيش الحملة "هويه".

عرض د. أيمن أحمد محمود

العنوان: الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨-١٨٠١:مذكرات ضابط من جيش الحملة "هويه" .

المؤلف: ضابط الحملة هويه E.L.F. HAUET

الموضوع: دراسة ونشر وتحقيق لمذكرات الضابط الفرنسي "هويه" .

عدد الصفحات : ٤٦٢.

الناشر: دار الكتب والوثائق القومية.

تاريخ النشر: ٢٠٠٥م.

تحتوي دار الوثائق القومية على العديد من المجموعات الوثائقية المهمة لتاريخ مصر الحديث والمعاصر ، والتي كتبت بالعديد من اللغات الأجنبية ، بالإضافة إلى اللغة العربية ، ولما كان تحقيق ونشر الوثائق من أهم التوجهات العلمية بدار الوثائق القومية، وذلك لإتاحتها للباحثين والمعنيين بالتاريخ ، وخاصة الوثائق المكتوبة بلغات أخرى غير اللغة العربية ، ومن بين هذه المجموعات وثائق الحملة الفرنسية التي تم شراء البعض منها من المزادات الأوربية في عهد الملك فؤاد ، في ثلاثينيات القرن العشرين.

وفي هذا الإطار يأتي هذا الكتاب المهم الذي نحن بصدد عرضه عن" الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨-١٨٠١م: مذكرات ضابط فرنسي من جيش الحملة

هويه" لفريق عمل من الباحثين المتخصصين في علم الوثائق والتاريخ واللغة الفرنسية؛ وهذا الكتاب هو في الأصل دراسة وترجمة ونشر وتحقيق لمخطوط من وثائق الحملة الفرنسية. ويضم الكتاب مقدمة وأربع دراسات، بالإضافة لنشر النص الفرنسي، وترجمة لفهرس المختصر التاريخي لمجلد المخطوط .

ويبدأ الكتاب بمقدمة مهمة للدكتورة مديحة "دوس" المشرف على تحقيق ونشر النص الفرنسي والدراسات الخاصة به؛ حيث تحاول "دوس" في المقدمة أن تشير إلى أن هذا الكتاب هو الإصدار الثاني الذي يأتي في إطار تحقيق ونشر وثائق الحملة الفرنسية، إذ سبقه كتاب آخر بعنوان "مختارات من وثائق الحملة الفرنسية ١٧٨٩–١٨٠١م". وتوضح "دوس" في المقدمة الأسباب التي دفعت الضابط الفرنسي "هويه" إلى كتابة هذه المذكرات ، والتي أراد بها أن يقدم صورة حية لتاريخ الحملة الفرنسية دفاعًا عن جيشها وقائدها ، مع الإشارة أيضًا إلى أن "هويه" قد اعتمد في تأريخه للحملات على مصر والشام على الأوامر الصادرة ، والتقارير العسكرية ، ويوميات بعض قادة الجيش الذين شاركوا في الحملة.

وتطرقت "دوس" إلى وصف مؤلف "هويه" والذي يتكون من سبعة مجلدات مع الإشارة إلى أن المجلد الثاني هو المعني بالدراسة والتحقيق والنشر، ويحمل عنوان ملخص تاريخ الحملات الأربع . وتنتقل "دوس" بعد ذلك إلى تقديم الإطار النظري للدراسات التي جاءت قبل نشر النص الفرنسي من حيث المدخل الأرشيفي ، والمدخل التاريخي ، والمدخل الأيدلوجي .

وجاء المدخل الأرشيفي بعنوان "الدراسة الأرشيفية و الدبلوماتية للمجلد رقم ٢٤٠١" للباحثة الوثائقية عزة محمود، والتي تحاول من خلالها تقديم الدراسة الوصفية للمجلد من حيث التجليد، والورق، والعلامات المائية، والحبر والخط ، والترقيم والترميز، وأسلوب التدوين والسطور والهوامش. كما تناولت كيفية ترتيب المجلد من

خلال المدخل الأرشيفي ، وتعرضت أيضًا لتقديم ما يحتويه المجلد من أحداث وردت بتسلسلها التاريخي بهدف إعطاء نظرة شاملة للعمل بأكمله .

وعن المدخل التاريخي جاءت الدراسة الأولى تحت عنوان" مؤلف "هويه" Hauet ومصادر الحملة الفرنسية" للدكتورة إلهام ذهني ، وتحاول من خلالها بلورة فكرتها الأساسية حول دراسة هذا المخطوط من الناحية التاريخية في سياق المصادر الأخرى التي تناولت بالدراسة لتاريخ الحملة الفرنسية – أو كما وصفتها "دوس" في مقدمة الكتاب بالرؤية النقدية – مثل كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين لتستخلص لنا بعض الملاحظات المهمة التي احتواها مؤلف "هويه"، ولم ترد في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين وكان من أهمها: أن مخطوط "هويه" يحتوي على قوائم وجداول وبيانات عن الحملة على مصر، وأسماء القادة المشاركين فيها والضباط والجنود وأعداد القتلى في كل معركة ، كما أن المصادر الفرنسية ولاسيما مؤلفات العسكريين والقادة لم تؤرخ للحملة الفرنسية بنفس المنهج الذي اتبعه "هويه" ؛ إذ أنه اتبع منهج السرد التاريخي للأحداث كل عام على حدة.

وتأتي الدراسة الثانية في الإطار نفسه للدكتور ناصر إبراهيم تحت عنوان "شهادة تاريخية مؤجلة لأحد ضباط الحملة الفرنسية" ؛ هذه الدراسة المهمة التي يحاول الباحث من خلالها تناول شهادة "هويه" برؤية تحليله من منظور تاريخي مختلف، في ظل اتجاهات الدراسات التاريخية التي اهتمت بالتأريخ للحملة الفرنسية وهي ثلاثة اتجاهات: أولها: الاتجاه المؤيد لمشروع الحملة الفرنسية، وثانيها: ركز على فشل الحملة الفرنسية، وثالثها: محاولة إظهار الحملة الفرنسية على مصر بإنها مستنبطة من عمل ومبادئ الثورة الفرنسية، ويشير الدكتور ناصر إبراهيم – في ضوء رؤيته التحليلية لتاريخ الحملة عند الضابط الفرنسي "هويه" – إلى أنها جاءت من منظور قومي ؛ وهو المنظور الذي أدى إلى تغليب الأفكار والتصورات على الحقائق والوقائع، ومن ثم كانت شهادة "هويه" تسير في الاتجاه الذي يخدم الفكرة القومية أو

على حد قول دكتور ناصر ابراهيم- هذا المنظور الذي يبرز البطولة التي صنعها الجيش في بلاد الشرق – وبذلك يقود "هويه" القارئ الفرنسي إلى نتيجة واحدة ونهائية هي: أن حملة مصر كانت حملة فريدة وغير عادية.

وبعد تناول المدخل التاريخي للدراسة ننتقل إلى المدخل الايدلوجي لها، والذي جاء تحت عنوان "خطاب أيديولوجي أم خطاب تاريخي؟" للأستاذة هنا فريد ، والتي تحاول من خلاله تحليل لنص التمهيد في مذكرات الضابط الفرنسي "هويه"؛ مشيرة إلى أن البحث المنهجي الذي يعرضه "هويه" في التمهيد يحاول أن يثبت من خلاله أنه يقوم بعمل متكامل ، لا يتوافر فيه ضوابط الخطاب التاريخي، كما أنه كان يريد أيضًا صنع تأريخ عن طريق عرض الحقائق التاريخية في التمهيد ، ولكن يتضح من خلال نص التمهيد الذي كتبه أنه ليس لديه أية نية للبحث عن الأسباب التي أدت إلى تكبد جيش الحملة الهزائم التي مني بها وخاصة في مصر.

ويتضمن الكتاب أيضًا فهرس المختصر التاريخي، وهو عبارة عن ملخص مختصر مترجم إلى اللغة العربية يتضمن مضمون كل صفحة أو وثيقة. وينتهي الكتاب بنشر النص الفرنسي لمذكرات "هويه" عن الحملة، وقد قامت بعملية تحقيق نص المذكرات ونشرها الأستاذة باتسي جمال الدين. وتبدأ المذكرات بذكر قادة وضباط الحملة الفرنسية على مصر ، كما تتضمن أيضًا خط سير الحملة من الإسكندرية إلى القاهرة مرورًا بأقاليم الدلتا، مع وصف تفصيلي لكل المعارك التي دارت رحاها بين قوات الحملة والمماليك والأهالي. وتجدر الإشارة إلى أن مذكرات الضابط الفرنسي "هويه" لم تقتصر فقط على وصف وذكر الأحداث في مصر؛ بل وتتضمن أيضًا الحملة على عكا انتهاء بذكر تفاصيل رحيل الحملة عن مصر، بعد الاتفاق مع الإنجليز والأتراك على الجلاء.

على أية حال جاء هذا الكتاب المهم بما يتضمنه من دراسات وتحقيق ونشر للنص الفرنسي لمذكرات الضابط هويه؛ ليحقق هدفين مهمين أولهما: أنه أزال الستار عن بعض الغموض الذي اكتنف الحملة الفرنسية على مصر، وثانيهما ليتيسر للباحثين الإطلاع عليه والاستفادة منه كمصدر جديد للحملة، وليثبت أن تاريخ الحملة لا يزال يحتاج إلى مزيد من الدراسات.